نفع العداوة

قال المتنبي

ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن المحبة ما يضر ويؤلم

وقال غيره

عداي لهم فضل عليَّ ومنة فلا ابعد الرحمن عني الاعاديا

هم انتقدوني فاجتنبت معايبي وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وللشعراء اشارات كثيرة الى نفع العداوة وما يبدو على اثرها من المجد وازدياد العلم الذي يراد به ارغام العدى كما يقول ابن الوردي ولكن كثيرين من الناس يعتبرون العداوة لمجرد ما يبدو من اسمها ووصفها وكونها سبب الشر والخصام والاذية ولكن الحقيقة ما قاله المتنبي وهو ان منها ما يجيء بالنفع وليس كلها وهذا هو مذهب اولي الفضل ومن استشهد بهما آنفاً حتى ان البحتري جعل الجري على طريقة اولي الفضل بمثابة العداوة فقال يمدح رجلا ويعرض بمدح ابيه

يعارضه في كل شيء كأنه غداة يجاريه عدو يجاهده

وعلى هذا يكون من العداوة ما هو نافع جداً للناس حتى لا فضل لافرادهم بدونه بل ان الانسان اذا لم يكن له بين الناس من يظهر معايبه ويترقب الفرص للتنديد به واشهار مساوئه لما كان للعيش حلاوة ولما بد من مقصر كمال بل ان الحياة بدونها تكون كحياة صاحب الملايين الذي ذكرناه في مقال سابق من حيث عدم اعتراض شيء من الصعو

لسهولة معيشته . ولقد اشار احد الكتاب الى هذا الشأن فقال انه لو لم تكن هذه العداوة موجودة بين الناس لما حسن عمل ولا امتدت صناعة لان المسابقة والمنافسة ومنع النفع عن الغير لاحرازه بالذات انما هو الذي يسبب كثرة التنبه والتيقظ بين التجار وارباب الاعمال فتراهم يرقب بعضهم بعضاً ليرى احدهم بماذا ينجح سواه فيقلده او يرى شيئاً من تقصيره فيطعن عليه بما يفضي الى صلاحهما معاً وتماديهما في الاستباق الى الكمال على طريق الشر والاذى

ثم ان الذي يصح اطلاقه على المتاجر والصنائع انما هو اصح اطلاقاً على اولي العلم والتحقيق لان الذي لا يكون محققاً ويحسّ باعداء يتتبعون اقواله ويفندونها قصد ان ينتفعوا بتفنيدها انما ينتفع من حيث لا يريدون لانه يزداد تحقيقا ومراجعة لما يكتب ويقول فيبدو كلامه صواباً وهكذا يتدرج حتى يبلغ الكمال وانه اذا كان لا يصح ان يسمى هذا عداوة محضة فانما هو على شيء منها لان النقد يدخل في العداوة احياناً

ثم ان الانسان اذا كان له اعداء وحساد او نقاد كما شئت ان تسميهم ونفعوه من طريق العلم بما يكونون قد قوّموا من اعوجاجه واشاروا الى خطائه فانما يكونون قد نفعوه من طرق اخرى لانهم يودعون نفسه او يعودونها التيقظ الدائم والحذر من كل شيء في كل شؤونه واسباب معاشه حتى انه لو علم انه يلقي كلامه على من لا يدري خطأه من صوابه فانه يكون به اميل كثيراً الى جانب الصواب لان قوة الاستمرار من خوف النقد او الطعن تكون قد استحكمت فيه حتى تراه « اذا رأى غير شيء ظنه رجلا » وهذه الحالة قلّ ان تشاهد الا لدى اولي التمييز الصحيح والادراك السليم

والعقل الراجح فترى احدهم اذا كان صانعاً مثلاً وكلف عملاً باجرة اقل جداً مما يستحق فانه يصنعه كانه ذو اجرة تامة وذلك لانه الف الكمال واعتاده بفضل حساده ومسابقيه والطاعنين عليه

وقد قال سليمان الحكيم لا تسكت للجاهل لئلا يظن نفسه حكيماً وهو قول قد وعى كل السداد بخلاف ما يظن البعض من ان التعرض لمساوئ الناس مما ينافي مكارم الاخلاق لان الانسان اذ قد حتم عليه من عند الدين والدنيا بان لا يكتم حسنة ولا يستر محمدة قصد ان تكثر القدوة بها ويزيد فاعلها منها كذلك لا ينبغي ان تكتم السيئة لكي تجتنب ويمتنع اقتداء الجاهل بها وانهم من اجل هذا يقولون ان الدنيا تحتاج دائماً لمن يرد الاذى اكثر ممن يجيء بالنفع اي انك اذا طعنت في عادة قبيحة فامتنعت كان ذلك خيراً من مدحك لعادة حسنة تتبع او اشارتك الى كتاب مفيد يقتنى

ثم ان الانسان اذا كان على بعض العلم او كان نفعه اكثر من ضرره ولم يكن له من يتبع آثاره ليرى ما كتب وما قال فانه يظن ان بعض علمه قد صار كل العلم فتفتر همته في التنقيب حتى يرجع الى الوراء بدل ان يتقدم ولا سيما حين يكون من جملة الذين كان بعض علمهم المغضى عن نقده سبباً في اشتهاره فانه حينئذٍ يترك التحقيق ويعتمد على الشهرة حتى يصبح ضرره اكثر من نفعه وهذه الحال شائعة جداً بين عدد عظيم من اولي الاقلام وسواهم من ارباب المتاجر والاعمال فانك ترى صاحب الدكان قد اشتهر بجودة تبغه مثلاً ودام شهيراً عدة سنوات شهرة صادقة ولكنه حين يصير يبيع التبغ الردئ ليستزيد الربح فان حيلته هذه تجوز على الافهام والاذواق

فيكذب الناس اذواقهم بقوة استمرار تلك الشهرة وكل هذا لانهم احسنوا الظن بالرجل مع ان الواجب ان يتخذوه دائماً كعدو لهم حتى يبيت منهم على وجل دائم. والذي يقال عن هذا يقال عن حالات أخرى كثيرة تدل على نفع العداوة كالحب مثلاً فانه اذا احب احد فتاة ورأى غيره يحبها فانه يصير عدواً له بما يفضي الى زيادة محبته لها وتعلقه بها فكأنه كفر عن تلك العداوة الجديدة بما زاد من الحب الجديد . وهكذا ترى الناس في كل الحالات وهم منتفعون بالعداوة نفعاً مذكوراً ولكنهم مع ذلك يلعنون اعداءهم صباح مساء باعتبار ان العداوة من جملة اللؤم

ولقد تكون هذه العداوة موجودة بكل حالاتها في هذه البلاد بين صناعها وتجارها وكل ذي حرفة فيها الا حرفة الادب فانها معدومة فيها من حيث ما يصح ان تسمى انتقاداً او انتقاداً شديداً ولهذا لا نزال نرى الدعوى بالعلم فاشية والجهل يتبعها اينما سارت وذلك لان الناس بها قد صاروا يعادون بعضهم فيها عداء حقيقياً كعداء الحروب مثلاً فترى صاحب الجريدة او الكاتب او الشاعر اذا كان يطعن على احد بصواب او بغير صواب او كان يجادله بالاطلاق فانه يعتد ذلك بينهما كمعركة وملحمة حتى انه لو رآه في الطريق لما امتنع عن سبه او ضربه مدفوعا الى ذلك بعامل الحقد معتبراً العداوة بكل معناها وواجباتها لانه خرج عن خطها المحدود . ثم ترى غيرهما ممن لم يتقدمهم احد وقد بردت صدورهم من العداوة في سبيل العلم وهم جادون في سبيل الجهالة سالكين فيها كل طريق وذلك لانه ما من احد عاداهم ليعلمهم مرارة العداء ويذيقهم حلاوة التحقيق الواردة من بعده بل قد وجدوا الناس كلهم ساكتين لما يقولون فظنوا نفوسهم حكماء كما قال سليمان

وعلى هذا فشا الجهل وهو لا يزال فاشياً لانه ما من احد يحاربه وبعاديه ومتى كانت هذه العداوة معدومة فمن اين تأتي الحركة والسعي والحرص والحذر واليقظة وسائر مسببات الكمال ؟

شهيد الواجب

بقلم حضرة الكاتب الاديب حنا افندي صاوه

اهتزت عروش اوروبا اثر انتصارات بونابارت العظيمة المتوالية وعقد الملوك خناصرهم على محاربته ليكسروا شوكته فكسرهم شر كسرة وان موقعة اوسترليتز الشهيرة لمن اعظم المواقع الدالة على مقدرة هذا الرجل العجيب الذي كان يكتسح بجيوشه البلدان كزوبعة هائلة والذي كان جندياً بسيطاً فاصبح امبراطوراً عظيما حاز اسم رجل القرن التاسع عشر

وكأن الله قد اراد ان يقيد مجد هذا الامبراطور لئلا يجحد فجعله يفكر في الغارة على روسيا بلاد الثلج والبرد فجند جيشاً عرمرماً اجتاز به مملكتي النمسا وبروسيا ثم دخل ارض القياصرة والنصر يكلل اعلامه حتى وصل الى موسكو واستولى عليها . وحينئذ اصيب بنكبة هائلة خارت لها عزيمة رجاله وكادت تذهب بحياته ولكنه نجا باعجوبة

اما هذه النكبة فتنحصر في ان الروسيين احرقوا عاصمة بلادهم وتتذاك ولا نعني بها سوى موسكو وكان الامبراطور في قصر قد طوقته